

# خطب و موااعظ

من

حجة الوداع

إعداد

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

طبع على نفقة بعض المحسنين  
جزاهم الله خيراً وأعظم لهم المثوبه

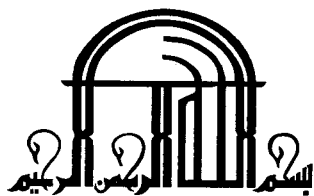
**خطب ومواعظ**

**من**

**حجّة الوداع**

**إعداد**

**عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر**



٢ عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر، ١٤٢٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البدر ، عبد الرزاق عبد المحسن العباد

خطب و مواظ من حجة الوداع . / عبد الرزاق عبد المحسن العباد

البدر . - المدينة المنورة ، ١٤٢٦ هـ

٩٦ ص ؛ .. سم

ردمك : ٧ - ٨١٠ - ٤٩ - ٩٩٦٠

١ - الخطب الدينية ٢ - حجة الوداع أ.العنوان

١٤٢٦/٦٦٥٨

ديوي ٢١٣

رقم الإيداع : ١٤٢٦ / ٦٦٥٨

ردمك : ٧-٨١٠-٤٩-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

" لآمانع من طبع الكتاب لمن أراد توزيعه مجاناً "

# بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإنَّ خطب النبي ﷺ ومواعظه في حجته التي ودَّع فيها المسلمين ذاتُ شأنٍ عظيم ومكانةٍ سامية قرَّرت فيها عليه الصلاة والسلام قواعد الإسلام ومجامع الخير ومكارم الأخلاق، بكلمات بالغات وعظات نافعات، ممن أوتي جوامع الكلم وبدائع الحكم وكمال النصح وحسن البيان وجزالة الألفاظ وفصاحة القول، مع رحمة بالغة وشفقة عظيمة وحرص على نفع العباد وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾  
 [التوبة: ١٢٨].

﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴿١٠﴾﴾  
 [الطلاق: ١٠ - ١١].

ولما كان الحج خير مقام لنصح العباد وتعليم الخير، إذ فيه يجتمع المسلمون من أقاصي الدنيا، وأنحاء المعمورة ملبيين نداء الله، قاصدين بيته الحرام، راجين رحمته، خائفين من عذابه، فإن خير هدية تقدم لهم وأتم فائدة يظفرون بها أن يقفوا على خطب نبيهم عليه الصلاة والسلام ومواعظه في هذه المشاعر المباركة في حجة الوداع، فهو الناصح الأمين، والمبلغ المشفق، والمربي الحكيم، وهو أنصح الناس للناس، بل هو قدوة الناصحين، وأسوة عباد الله أجمعين ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

وفي هذا الكتيب جمع لطائفة نافعة وجملة مباركة ونخبة طيبة من خطب النبي ﷺ ومواعظه في حجة الوداع، مع شيء من البيان لدلالاتها والتوضيح لمراميها وغايتها، مما أرجو أن يكون زاداً للوعاظ، وذخيرة للمذكرين، وبلغة للناصحين، مع الاعتراف بالقصور والتقصير، وقد جعلتها في ثلاثة عشر درساً متناسبة في أحجامها ليتسنى بيسر إلقاؤها على الحجاج أيام الحج على شكل دروس يومية، وأسأل الله الكريم أن ينفع به، وأن يجعل فيه البركة، وأن يكتب له القبول، فالتوفيق بيده وحده لا رب سواه، ولا إله إلا هو، ولا حول ولا قوة إلا به، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر





[ ١ ]

## مكانة خطبه ﷺ في حجة الوداع

إنَّ أحسن الخطب وأوفاهما بياناً وأتماها نصحاً خطبُ نبينا الكريم ﷺ فقد جمع الله له في خطبه المنيفة جمال البيان وحسن الإفهام وقلة ألفاظ الكلام، بل ما سمع قط كلاماً أحد من البشر أعمُّ نفعاً، ولا أفصح معنى، ولا أصدق لفظاً، ولا أحسن موقعاً ولا أسهل مخرجاً ولا أوفى نصحاً من كلامه الشريف ﷺ، وقد آتاه الله جوامع الكلم وخصه ببدايع الحكم، كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بعثت بجوامع الكلم»<sup>(١)</sup>.

قال الزهري رضي الله عنه: «جوامع الكلم - فيما بلغنا - أن الله يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأميرين ونحو ذلك».

---

(١) «صحيح البخاري» رقم (٢٩٧٧)، و«صحيح مسلم» رقم (٥٢٣).

ومن يتأمل خطبه صلوات الله وسلامه عليه يجد فيها  
 الوفاء والنصح والبيان، وكان يخطب في كل وقت بما  
 تقتضيه حاجة المخاطبين ومصلحتهم، إلا أنها في الجملة  
 كان مدارها على حمد الله والثناء عليه بآلائه وأوصاف كماله  
 ومحامده وتعليم قواعد الإسلام وذكر الجنة والنار والمعاد  
 والأمر بتقوى الله وتبيين موارد غضبه ومواقع رضاه.

والحج مناسبة كريمة وفرصة ثمينة للنصح والتوجيه  
 والوعظ والتنبيه والتعليم والإرشاد، إذ القلوب فيه مقبلة  
 والنفوس مطمئنة والرغبة في الخير شديدة، فحريٌّ بالدعاة  
 إلى الله تعالى أن تتضافر جهودهم وتتوافر هممهم في هذا  
 الموسم المبارك نصحاً وتعليماً وإرشاداً وتوجيهاً مقتفين  
 آثار نبيهم الكريم مهتدين بهديه القويم، وأن يكون مرتكز  
 كلامهم ما دعا إليه ومحورُ نصحهم وبيانهم ما أرشد إليه،  
 إذ هو عليه الصلاة والسلام أنصح الناس للناس، بل هو  
 قدوة الناصحين وإمام المرشدين ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ  
 اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهُ  
 كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقد كان لخطب النبي ﷺ في حجة الوداع على وجه الخصوص شأنٌ عظيم إذ هي وصية مودع والمودع يستقصي ما لا يستقصي غيره في القول والفعل، وقد عرّض في خطبته في حجة الوداع بذلك فقال: «فإني لا أدري لعلّي لا أحجُّ بعد حجّتي هذِهِ»<sup>(١)</sup>، وطفق يودّع الناس، فقالوا: هذه حجة الوداع. ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما في شأن هذه الخطبة: «فوالذي نفسي بيده إنها لوصيته ﷺ إلى أمته» رواه البخاري<sup>(٢)</sup>.

ويدل لأهمية هذه الخطبة وعظيم شأنها أمورٌ عديدة منها:

أولاً: أن النبي ﷺ ودع الناس على إثرها فهي وصية مودع كما سبق إيضاح ذلك.

ثانياً: أن النبي ﷺ استنصت الناس أي طلب منهم أن

(١) «صحيح مسلم» (١٢٩٧).

(٢) «صحيح البخاري» رقم (١٧٣٩).

ينصتوا، ففي الصحيحين من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له في حجة الوداع: «استنصت الناس»<sup>(١)</sup>. مما يدل على أهمية الأمر، حيث إن الخطبة لما كانت مشتملة على صلاح الناس وسعادتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة ناسب أن يأمرهم بالإنصات الذي يؤثر فيهم العلم والانتفاع ومن ثم العمل والارتفاع. وقد نُقل عن سفيان الثوري وغيره أنه قال: «أول العلم الاستماع ثم الإنصات ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر».

ثالثاً: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في خطبته تلك يتناول من أجل إسماع الناس. ففي المسند عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس في حجة الوداع وهو على الجدعاء واضع رجله في غراز الرحل يتناول يقول: ألا تسمعون»<sup>(٢)</sup>.

(١) «صحيح البخاري» رقم (١٢١)، و«صحيح مسلم» رقم (٦٥).

(٢) «مسند أحمد» (٢٥١/٥)، وصححه الألباني رضي الله عنه في

«الصحيفة» (٨٦٧).

رابعاً: أن الله ﷻ فتح أسماع الناس في ذلك اليوم فكانوا يسمعون كلامه ﷻ وهم في منازلهم. ففي سنن النسائي عن عبد الرحمن بن معاذ رضي الله عنه قال: «خطبنا رسول الله ﷻ بمنى ففتح الله أسماعنا، حتى إن كنا لنسمع ما يقول ونحن في منازلنا»<sup>(١)</sup>.

خامساً: أنه ﷻ اتخذ من يبلغ عنه، ففي سنن أبي داود عن رافع بن عمرو المزني قال: «رأيت رسول الله ﷻ يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء، وعليّ رضي الله عنه يعبر عنه، والناس بين قاعد وقائم»<sup>(٢)</sup>.

وقوله: «وعليّ رضي الله عنه يعبر عنه» من التعبير، أي: يبلغ حديثه مَنْ هو بعيدٌ من النبي ﷻ.

سادساً: قوله ﷻ في الخطبة: «ألا هل بلغت؟ قالوا:

---

(١) «سنن النسائي» رقم (٢٩٩٦)، وصححه الألباني رحمته الله في «صحيح سنن النسائي» (٣٤٠/٢).

(٢) «سنن أبي داود» رقم (١٩٥٦)، وصححه الألباني رحمته الله في «صحيح سنن أبي داود» (٥٤٩/١).

نعم. قال: اللهم اشهد<sup>(١)</sup> وتكراره لذلك.

سابعاً: أمرهم بأن يبلغ الشاهد منهم الغائب، ففي حديث أبي بكرة رضي الله عنه في الصحيحين قال عليه الصلاة والسلام: «فليبلغ الشاهد الغائب قرب مبلغ أوعى من سامع»<sup>(٢)</sup>.

ثامناً: استعماله ﷺ في خطبته أسلوب الحض والتنبيه وشد الانتباه «ألا هل بلغت»، «ألا ليلغ الشاهد الغائب»، «ألا فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»، وتكرّر مثل هذا في مواضع من خطبته. وكذلك أساليب التوكيد كقوله: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»<sup>(٣)</sup>، وفي هذا ما فيه من الاهتمام وتقوية الكلام وتشبيته في أذهان سامعيه.

تاسعاً: التأمل في مضامين هذه الخطبة العظيمة

---

(١)(٢)(٣) «صحيح البخاري» رقم (١٧٤١)، و«صحيح مسلم» رقم (١٦٧٩).

ودلالاتها المباركة حيث قرر فيها صلوات الله وسلامه عليه قواعد الملة الحنيفية، وهدم فيها قواعد الشرك والجاهلية، وقرر فيها تحريم المحرمات التي اتفقت الملل على تحريمها إلى غير ذلك من المضامين العظيمة التي اشتملت عليها خطبته، مما سنقف على جملة من خلال هذه الرسالة بإذن الله ﷻ.

فكل ذلك يدل دلالة واضحة على أهمية شأن خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع وأهمية العناية بها، وأن الحاجة ماسة إلى معرفتها في حق كل مسلم صغير أو كبير ذكر أو أنثى. رزقنا الله البصيرة بستته والاهتداء بهديه.

[ ٢ ]

## خطبة يوم عرفة

إنَّ من خطب النبي ﷺ في الحج خطبته يومَ عرفة، وذلك فيما رواه الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رضي الله عنه في حديثه الطويل الذي وصف فيه حجة النبي ﷺ من خروجه من المدينة إلى أن رجع إليها، وهو حديث عظيم مشتمل على جملي من الفوائد، ونفائس من مهمات القواعد، وهو مخرج في صحيح الإمام مسلم <sup>(١)</sup> رحمته الله.

قال جابر رضي الله عنه في سياق هذا الحديث: «حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرجلت له، فأتى بطن الوادي فخطب الناس وقال: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية

---

(١) برقم (١٢١٨).



موضوعه، وإن أول دم أضع من دمائنا دمُ ابنِ ربيعةَ بنِ الحارثِ كان مُستَرَضِعاً في بني سعدٍ فقتلته هذيل، وربما الجاهلية موضوع، وأول رباً أضعُ ربانا، ربا عباسِ بنِ عبدِ المطلب، فإنه موضوع كلُّه، فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهنَّ بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرِّح، ولهن عليكم رزقهنَّ وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتابَ الله، وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد» ثلاث مرات، ثم أذن، ثم أقام، فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر».

وهي خطبة عظيمة تضمنت أصولاً عظيمة، وقواعدَ جليلاً، وآداباً كريمة، قال العلامة ابن القيم رحمته الله في وصف هذه الخطبة وبيان مضامينها إجمالاً: «فخطب الناس وهو على راحلته خطبةً عظيمة قرّر فيها قواعد

الإسلام، وهدم فيها قواعد الشرك والجاهلية، وقرر فيها تحريم المحرمات التي اتفقت المللُ على تحريمها، وهي الدماء والأموال والأعراض، ووضع فيها أمور الجاهلية تحت قدميه، ووضع فيها ربا الجاهلية كله وأبطله، وأوصاهم بالنساء خيراً، وذكر الحق الذي لهنّ والذي عليهن، وأن الواجب لهن الرزق والكسوة بالمعروف، ولم يقدر ذلك بتقدير، وأباح للأزواج ضربهن إذا أدخلن إلى بيوتهن من يكرهه أزواجهن، وأوصى الأمة فيها بالاعتصام بكتاب الله، وأخبر أنهم لن يضلوا ما داموا معتصمين به، ثم أخبرهم أنهم مسؤولون عنه، واستنطقهم: بماذا يقولون وبماذا يشهدون، فقالوا: «نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت»، فرفع أصبعه إلى السماء، واستشهد الله عليهم ثلاث مرات، وأمرهم أن يبلغ شاهدهم غائبهم»<sup>(١)</sup>. اهـ كلامه ﷺ.

وقد تضمنت هذه الخطبةُ جملاً مهمة من أمور الدين وآدابه، وهي كما يلي - على ضوء ترتيبها في الحديث -:

(١) «زاد المعاد» (٢/٢٣٣).

الأولى: تحريم دماء المسلمين وأموالهم، وأكد ذلك عليه الصلاة والسلام تأكيداً بالغاً: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا» وكلُّهم يدرك حرمة بلد الله الحرام، وتضاعف هذه الحرمة في اليوم الحرام وفي الشهر الحرام. فحرمة دم المسلم وماله شديدة كحرمة بلد الله الحرام في اليوم الحرام وفي الشهر الحرام، فما أعظمها حرمة.

الثانية: وَضِعُ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ وَإِبْطَالُهُ: «ألا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنْ أَوَّلَ دَمٍ أُضِعَ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، كَانَ مُسْتَرَضِعاً فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلْتَهُ هَذِيلٌ، وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلَ رَبّاً أُضِعَ رَبَانَا، رَبَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ»، ففي هذه الجملة إبطالُ أفعال الجاهلية وبيعها التي لم يتصل بها قبض، وأنه لا قصاص في قتلها، وقوله: «تحت قدمي موضوع» إشارة إلى إبطاله. وقوله في الربا: «إنه موضوع كله»، المراد بالوضع الرد والإبطال.

الثالثة: الوصية بالنساء والحثُّ على الإحسان إليهن:  
«فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم  
فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم  
أحدًا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح،  
ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف». وهذه الجملة  
فيها مراعاة حق النساء، والوصية بهن ومعاشرتهن  
بالمعروف، وقد جاء في هذا المعنى أحاديث كثيرة في  
الوصية بالنساء وبيان حقوقهن والتحذير من التقصير في  
ذلك.

الرابعة: الوصية بكتاب الله ﷻ الذي لا يأتيه الباطل  
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد: «وقد  
تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله»  
والقرآن كتاب هداية، جعله الله مرشداً للعباد إلى كل طريق  
نافع وسبيل قويم، يفرقون به بين الحق والباطل والهدى  
والضلال والخير والشر، فمن تمسك به هدي ومن اعتصم  
به لم يضل ومن اتبعه لا يشقى، وإنما اقتصر على الكتاب  
لأنه مشتمل على العمل بالسنة، فمن لم يعمل بالسنة لم

يعمل بالكتاب، وكذلك في قوله: «وأنتم تسألون عني»  
دلالة على العمل بالسنة.

الخامسة: إخبارهم بأنهم مسؤولون عنه ﷺ واستنطاقهم  
بماذا يجيبون «وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا:  
نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة  
يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد اللهم  
اشهد ثلاث مرات»، وقوله: «وأنتم تسألون عني» أي: عن  
تبليغي للرسالة، وقوله: «فما أنتم قائلون» أي: في حقي.  
وقولهم: «قد بلغت» أي: الرسالة، «وأديت» أي: الأمانة،  
«ونصحت» أي: الأمة، وقوله: «اللهم اشهد» أي: على  
عبادك بأنهم قد أقرؤا بأني قد بلغت، وكفى بك شهيداً.

## إبطال أمور الجاهلية

تقدم ذكرُ ألفاظ خطبة الوداع، تلك الخطبة العظيمة التي ألقاها النبي الكريم والناصح الأمين صلوات الله وسلامه عليه على مسامع الصحابة الكرام ﷺ في يوم عرفة المبارك، وتقدم أيضاً الإشارةُ إلى مكانة هذه الخطبة وأهميتها، وبيان مضامينها إجمالاً، وكان مما قرر فيها ﷺ وَضَعُ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الضَّلَالِ وَالانْحِرَافِ وَالخُرُوجِ عَنِ الْمِلَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ.

يقول ﷺ: «أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنْ أَوْلَ دَمٍ أَضْعَ مِنْ دِمَائِنَا دُمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ كَانَ مَسْتَرْضِعاً فِي بَنِي سَعْدِ فَقَتَلْتَهُ هَذِيلٌ، وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوْلَ رَبًّا أَضْعَ رَبَانَا رَبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ»<sup>(١)</sup>.

(١) قطعة من حديث جابر الطويل، وهو في «صحيح مسلم» (١٢١٨).

وهذا فيه بيان للحال البئيسة، والفساد العريض الذي كان عليه الناس قبل الإسلام في عباداتهم وتعاملاتهم؛ دماءً تراق، وأموال تنتهب، وأعراض تنتهك، حيث بلغ فيهم الجهل مبلغه والضلال غايته، فنالوا بذلك مقت الله ﷻ وسخطه.

روى مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب»<sup>(١)</sup>.

فانظر إلى هذه الحال التي التبس فيها الدين على أهل

---

(١) «صحيح مسلم» رقم (٢٨٦٥).

الأرض، وخيم الجهل والضلال، ونُزعت الرحمة، وشاع الظلم والعدوان، حتى جاء الله بالإسلام لينقذ البشرية وليشيع الخيرُ وَيَشِعَّ الضياءُ.

نعم، جاء الإسلامُ بالعلم والنور، والخير والهداية، والصلاح والرفعة، وهدم سفة الجاهليةِ وَغَيَّهَا، وضلالها وانحرافها، وظلمها وظلامها، فخرج الناس بدعوته وضيائه من الكفر إلى الإيمان، ومن الغي إلى الرشد، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الظلمات إلى النور ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُمِنتَةً لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الطلاق: ١٠ - ١١].

لقد وافت رسالته ﷺ أهل الأرض أحوج ما كانوا إليها، فإنهم كانوا بين عبَادِ أوثانٍ، وعبَادِ نيرانٍ، وعبَادِ كواكبٍ، ومغضوبٍ عليهم قد باؤوا بغضب من الله، وحيرانٍ لا يعرف ربّاً يعبده، ولا بماذا يعبده، والناسُ يأكلُ بعضهم بعضاً، مَنْ استحسن شيئاً دعا إليه، وقاتل من خالفه، وليس في الأرض موضعٌ قدم مشرقٌ بنور الرسالة، فأغاث الله به البلاد والعباد، وكشف به تلك الظلم، وأحيا



الخليقة بعد الموت، فهدى به من الضلالة، وعلم به من الجهالة، وكثر به بعد القلة، وأعز به بعد الذلة، وأغنى به بعد العيلة، وفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صمّاً، وقلوباً غلفاً، فعرف ﷺ الناس ربهم ومعبودهم غاية ما يمكن أن تناله قواهم من المعرفة، وانجابت عنهم سحائب الشك والريب، وعرفهم الطريق الموصول إلى ربهم ورضوانه ودار كرامته فلم يدع حسناً إلا أمرهم به، ولا قبيحاً إلا نهاهم عنه، وعرفهم حالهم بعد القدوم على ربهم أتم تعريف، فهدى الله به القلوب من ضلالها، وشفأها من أسقامها، وأغاثها من جهلها<sup>(١)</sup>. فما أعظم نعمة الله على عباده ببعثته حيث اندحرت الجاهلية، وحلّ النور، وانقشع الظلام، وشع الضياء.

وانظر إلى عزة الإسلام العظيمة، ورفعته وشموخه، ففي مكة حيث كانت تخيم الجاهلية ويهيمن الضلال يضع النبي ﷺ كل ضلال الجاهلية تحت قدميه الشريفين

(١) ينظر جلاء الأفهام لابن القيم (ص: ١٩٢ - ١٩٥).

صلوات الله وسلامه عليه، ليعلو نور الإسلام وضياء الدين، ولتندحر الجاهلية الجهلاء والضلالة العمياء، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ [التوبة: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَبُرُكِيَّهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿١٦٤﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٥١﴾ ﴿١٥٢﴾ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ ﴿١٥١﴾ [البقرة: ١٥١، ١٥٢].

فله الحمد الذي أنقذنا معاصر المسلمين ببعثة محمد ﷺ من تلك الظلمات والجهالات، وفتح لنا به باب الهدى والخضوع لرب الأرض والسموات، وأغنانا بشريعته التي تدعو إلى الحكمة والموعظة الحسنة، وتتضمن الأمر بالعدل والإحسان، والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي،

فله المنة والفضل على ما أنعم به علينا، وإليه الرجاء والرغبة أن يوزعنا شكر هذه النعمة، وأن يفتح لنا أبواب التوبة والمغفرة والرحمة.

والواجب على كل مسلم أن يعرف لهذه النعمة قدرها، وأن يحفظ لها مكانتها، وأن يحافظ عليها، صلاحاً في نفسه، وإصلاحاً في مجتمعه، سائراً على سنن الإسلام المستقيم وصراطه القويم، حذراً غاية الحذر من أعمال الجاهلية وغيها وسفوها وضلالها، لينال رضى الله ورحمته، وليسلم من سخطه سبحانه ومقته، وقد ثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه». رواه البخاري في صحيحه<sup>(١)</sup> عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

ولا تفوت الإشارة هنا إلى كتاب نافع ومؤلف قيم في هذا الباب العظيم، ألا وهو كتاب «المسائل التي خالف

---

(١) برقم (٦٨٨٢).

فيها رسولُ الله ﷺ أهلُ الجاهلية» للإمام المصلح،  
والعلامة المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب  
- رحمه الله تعالى - ينبغي أن يفيدَ منه كلُّ مسلم؛ ولذا قال  
في مقدمته: «هذه أمور خالف فيها رسولُ الله ﷺ ما عليه  
أهلُ الجاهلية الكتابيين والأُميين مما لا غناء لمسلم عن  
معرفةها». فجزاه الله خيراً ونفع بعلمومه ونصحه، وأعادنا  
سبل أهل الجاهلية ومسالك أهل الزيغ والضلال، إنه  
سبحانه خير مسؤول.

## الوصية بالنساء

إن مما جاء في خطبة النبي ﷺ يومَ عرفة وصيته ﷺ بالنساء، ومراعاة حقوقهن، والإحسان إليهن، ومعاشرتهن بالمعروف، قال ﷺ: «فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف»<sup>(١)</sup>.

وهي وصية عظيمة بالمرأة، من تقوى الله ﷻ القيامُ بها ومراعاتها، لقوله: «فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله» أي: أن لهن أماناً فلا يؤذين، فهنَّ آمانات عندكم بأمان الله.

(١) هو في «صحيح مسلم» (١٢١٨) بطوله، من حديث جابر بن

عبد الله ﷺ.

وقوله: «واستحللتم فروجهن بكلمة الله» أي: إذنه لكم  
وشرعه وتحليله كما في قوله تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ  
مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣].

فلتقر المرأة المسلمة عيناً بهذه الحفاوة والإكرام،  
والرعاية والإحسان، حيث خصها رسول الله ﷺ بالوصية  
بها خيراً في هذا المقام العظيم، وفي هذه الخطبة العظيمة  
خطبة الوداع، كما أنه ﷺ خصها بالوصية بها في غير  
مقام، ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه  
قال: قال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء فإن المرأة  
خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن  
ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا  
بالنساء»<sup>(١)</sup>.

وهنا يجب أن تعي المرأة المسلمة أنها تعيش تحت  
ظلال الإسلام حياة عزٍّ وكرامة، وحشمةٍ ونيلٍ لحقوقها

---

(١) «صحيح البخاري» رقم (٣٣٣١)، و«صحيح مسلم» رقم  
(١٤٦٨).

الشرعية التي أوجبها الله لها، خلافاً لما كانت تعيشه المرأة في الجاهلية.

ومن ينظر لحال المرأة المسلمة في ظل تعاليم الإسلام الكريمة، وتوجيهاته العظيمة، يجد أن الإسلام منقذ للمرأة من براثن الرذيلة، ومخلص لها من حمأة الفساد، إذ هي في كنفه تعيش حياة الطهر والعفاف، والستر والحياء، منيعة الجانب، رفيعة القدر، ومن يقارن بين حالها في ظل الإسلام وأحوالها في الجاهلية يجد الفرق الشاسع، والبون العظيم في نكاحها وأسلوب التعامل معها.

روى البخاري في صحيحه<sup>(١)</sup> عن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته: «أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء: فنكاح منها نكاحُ الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيُصدِّقها ثم يَنكحها، ونكاحُ آخر كان الرجلُ يقول لامرأته إذا طُهرت من طمثها أرسلني إلى فلانٍ فاستبضعي منه، ويعتزلها

---

(١) برقم (٥١٢٧).

زوجها ولا يمسه أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع، ونكاح آخر، يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيها، فإذا حملت ووضعت ومر ليل بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدت فهو ابنك يا فلان، تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها، ولا يستطيع أن يمتنع عنه الرجل، والنكاح الرابع: يجتمع الناس الكثيرون فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها وهن البغايا، كن ينصبن على أبوابهن الرايات تكون علماً، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها، جمعوا لها ودعوا لهم القافة، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاطته به، ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك، فلما بعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم. انتهى خبر عائشة رضي الله عنها.



وقد كانت المرأة في الجاهلية تشتري وتباع كالبهيمة والمتاع، وكانت تُكره على الزواج وعلى البغاء، وكانت تُورث ولا تَرث، وكانت تُملك ولا تَملك، وكان أكثرُ الذين يملكونها يَحْجُرُون عليها التصرف فيما تملكه بدون إذن الرجل، وكانوا يرون للزوج الحقَّ في التصرف بمالها من دونها إلى غير ذلك من أنواع الظلم والاضطهاد الذي كانت تقاسيه المرأة وتتجرع مرارته فأنقذها الله بالإسلام.

إن الدين الإسلامي الحنيف بتوجيهاته السديدة، وإرشاداته الحكيمة صان المرأة المسلمة وحفظ لها شرفها وكرامتها، وتكفل بتحقيق عزها وسعادتها، وهياً لها أسباب العيش الهنيء، بعيداً عن مواطن الريب والفتن، والشر والفساد، وتُعَدُّ توجيهاتُ الإسلام وإرشاداته صِمامَ أمانٍ للمرأة، بل للمجتمع بأسره من أن تحلَّ به الشرورُ والفتن، وأن تنزل به البلايا والمحن، وإذا ترحلت ضوابط الإسلام المتعلقةُ بالمرأة عن المجتمع حل به الدمار، وتوالت عليه الشرور والأخطار، والتاريخ من أكبر الشواهد على ذلك، إذ مَنْ يتأمل التاريخَ على طول مداه يجدُ أن

من أكبر أسباب انهيار الحضارات وتفكك المجتمعات، وتحلل الأخلاق، وفشو الرذائل، وفساد القيم، وانتشار الجرائم هو تحلل المرأة من تعاليم الدين القويمة، وإرشاداته الحكيمة، وتوجيهاته المباركة.

ومن الواجب على المرأة المسلمة أن تتلقى كل تعاليم الإسلام بانسراح صدر، وطيب قلب، وحسن تطبيق وعمل، لتحيا حياة هنيئة، وتفوز برضا ربها وسعادة الدنيا والآخرة، ومن الواجب على أولياء أمور النساء حسن رعايتهن وتأديبهن بآداب الإسلام، وحفظ حقوقهن، وإكرامهن والإحسان إليهن طاعةً لله سبحانه، وطلباً لثوابه، وتحقيقاً لتقواه، والله وحده المستعان لا رب سواه، ولا حول ولا قوة إلا به.

## تحريم الدماء والأموال والأعراض

لقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن النبي ﷺ خطب الناس يوم النحر وكان أعظم ما أكد عليه تحريم دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، وقد جاء في هذا عدة أحاديث عن غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

منها حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم النحر فقال: «يا أيها الناس، أيُّ يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام. قال: فأيُّ بلد هذا؟ قالوا: بلد حرام. قال: فأيُّ شهر هذا؟ قالوا: شهر حرام. قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، فأعادها مراراً ثم رفع رأسه فقال: اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟ - قال ابن عباس رضي الله عنهما: فوالذي نفسي بيده إنها لو وصيته إلى أمته -، فليبلغ الشاهدُ

الغائب، لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض». رواه البخاري<sup>(١)</sup>.

وحدّث أبي بكره نفيح بن الحارث الثقفى رضي الله عنه قال: «خطبنا النبي ﷺ يوم النحر قال: «أتدرون أيّ يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس يومُ النحر؟ قلنا: بلى. قال: أيّ شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: أليس ذو الحجة؟ قلنا: بلى. قال: أيّ بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليست بالبلدة الحرام؟ قلنا: بلى. قال: فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد، فليبلغ الشاهدُ الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع، فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض».

---

(١) رقم (١٧٣٩).

متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وحدیث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَيُّ يَوْمِ هَذَا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: «فَإِنْ هَذَا يَوْمٌ حَرَامٌ، أَفْتَدْرُونَ أَيَّ بَلَدٍ هَذَا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «بَلَدٌ حَرَامٌ، أَفْتَدْرُونَ أَيَّ شَهْرٍ هَذَا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بِلَدِكُمْ هَذَا». رواه البخاري<sup>(٢)</sup>.

وحدیث جریر بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال له في حجة الوداع: «استنصت الناس»، فقال: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»<sup>(٣)</sup>. والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

وقد دلت هذه الخطبة العظيمة، والكلمات القويمة،

---

(١) «صحيح البخاري» رقم (١٧٤١)، و«صحيح مسلم» رقم (١٦٧٩).

(٢) رقم (١٧٤٢).

(٣) «صحيح البخاري» رقم (١٢١)، و«صحيح مسلم» رقم (٦٥).

على عظم حرمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم وعصمتها، وأنه لا يحل الاعتداء عليها بأي نوع من الاعتداء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «والأصل أن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرمة من بعضهم على بعض لا تحل إلا بإذن الله ورسوله، قال النبي صلى الله عليه وسلم لما خطبهم في حجة الوداع: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا»<sup>(١)</sup>، وقال صلى الله عليه وسلم: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»<sup>(٢)</sup>، وقال صلى الله عليه وسلم: «من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له ذمة الله ورسوله»، وقال: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قيل: يا رسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: إنه أراد قتل صاحبه»<sup>(٣)</sup>، وقال: «لا ترجعوا بعدي

---

(١) رواه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩) عن أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٢٥٦٤)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨) عن أبي بكرة رضي الله عنه.

كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض»<sup>(١)</sup>، وقال: «إذا قال المسلم لأخيه: يا كافر. فقد باء بها أحدهما»<sup>(٢)</sup>. وهذه الأحاديث كلها في الصحاح<sup>(٣)</sup>. اهـ كلامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد أكد النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حرمة هذه الثلاث، الدماء والأموال والأعراض تأكيداً بالغاً، وغلظ شأنها تغليظاً عظيماً، وجعل حرمتها كحرمة اليوم الحرام في الشهر الحرام في البلد الحرام، وكرر ذلك على أسماعهم اهتماماً بالمقام وتعظيماً للأمر، وأمر شاهدهم أن يبلغ غائبهم بذلك، وقد استدعى عليه الصلاة والسلام اهتمامهم، وشدَّ أذهانهم بسؤالهم عن اليوم الذي هم فيه، وعن الشهر وعن البلد، وذكَّروهم بحرمتها، وحُرْمَتُهَا معلومةٌ عندهم متقررةٌ في نفوسهم، وهو عليه الصلاة والسلام إنما ذكر ذلك توطئة لبيان حرمة دم المسلم وماله وعرضه.

قال الحافظ ابن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وإنما شبه حرمة الدم

---

(١) رواه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥) عن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٨٣/٣).

والعرض والمال بحرمة اليوم والشهر والبلد لأن المخاطبين بذلك كانوا لا يرون تلك الأشياء، ولا يرون هتك حرمتها، ويعيبون على من فعل ذلك أشد العيب، وإنما قدم السؤال عنها تذكيراً لحرمتها، وتقريراً لما ثبت في نفوسهم ليبني عليه ما أراد تقريره على سبيل التأكيد<sup>(١)</sup>. اهـ.

ثم إن النبي ﷺ حذر تحذيراً آخر في هذه الخطبة يتعلق بالدماء وحرمتها فقال: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»<sup>(٢)</sup>.

وهذا تحذير بالغ، «فقد سمي من يضرب بعضهم رقاب بعض بلا حق كفاراً، وسمى هذا الفعل كفراً»<sup>(٣)</sup>، وليس هذا بالكفر الناقل من ملة الإسلام، بل هو كفر دون كفر، وهو يدل على أن هذا العمل من شعب الكفر الذميمة وخصاله المشينة، وقد جاء الإسلام بالتحذير منها والنهي

---

(١) «فتح الباري» (٣/٥٧٦).

(٢) رواه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩) عن أبي بكره رضي الله عنه.

(٣) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٧/٣٥٥).



عنها، تحقيقاً للوئام، وجمعاً للقلوب، وحفظاً للدماء أن تزهق بغير حق وأن تراق بلا موجب، وفي معنى هذا الحديث قول النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»<sup>(١)</sup>.

فالواجب على كل مسلم أن يكون على حذر شديد من الوقوع في هذا الإثم المبين والذنب الوخيم ألا وهو الاعتداء على دماء المسلمين أو أموالهم أو أعراضهم.

وقد كتب رجل إلى ابن عمر رضي الله عنهما أن اكتب إليّ بالعلم كله. فكتب إليه: «إنَّ العلم كثير، ولكن إن استطعت أن تلقى الله خفيف الظهر من دماء الناس، خميص البطن من أموالهم، كاف اللسان عن أعراضهم، لازماً لأمر جماعتهم، فافعل»<sup>(٢)</sup>.

فيا لها من نصيحة ما أبلغها، وعلمٍ نافع ما أجمعه، وبالله وحده التوفيق.

---

(١) رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/٢٢٢).

## خمسٌ خصالٌ موجبةٌ لدخول الجنة

ومما ورد في ذكر خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع حديثُ أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال: «اتقوا ربكم وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة مالكم، وأطيعوا إذا أمركم تدخلوا جنة ربكم»<sup>(١)</sup>. رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح. ورواه أحمد والحاكم بلفظ: «اعبدوا ربكم»<sup>(٢)</sup>.

وهي وصية جامعة في ذكر موجبات دخول الجنة، وأسباب الظفر بنعيمها، والفوز بخيراتها وملذاتها، وهي

(١) «سنن الترمذي» رقم (٦١٦)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٣٣٧/١).

(٢) «مسند أحمد» (٢٥١/٥)، و«مستدرک الحاكم» (٩/١).  
وصححه الألباني رحمه الله في «الصحيح» (٨٦٧).

الدار التي أعدها الله لعباده المطيعين وأوليائه الصالحين، وجعل فيها من النعيم الكريم والثواب العظيم، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٧) [السجدة: ١٧]، وفي قوله ﷺ في هذا الحديث: «تدخلوا جنة ربكم» إضافة الجنة إلى الرب سبحانه، وهذا فيه تشريف لها، وتعليةً لشأنها، ورفعٌ لقدرها.

وقد ذكر النبي ﷺ خمسة أسباب عظيمة لدخول الجنة ونيل ما فيها من ثواب ونعيم.

الأول: قوله: (اتقوا ربكم) أي بفعل أوامره، والبعد عن نواهيه، فأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه وقاية تقيه منه، وتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، وهو فعلٌ طاعته، واجتنابُ معاصيه، كما قال طلق بن حبيب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «تقوى الله عمل بطاعة الله على نور من الله رجاءُ رحمة الله، وترك معصية الله على نور من الله

خيفة عقاب الله»<sup>(١)</sup>. فتقوى الله ﷻ جُداً واجتهاداً، ونصح للنفس بطاعة الله والتقرب إليه بما يرضيه، ولا سيما فعل الفرائض والواجبات، والبعد عن المعاصي والمنكرات.

ويدخل في تقوى الله الإيمان بأصول هذا الدين وعقائده القويمة، والقيام بشرائع الإسلام وعبادته، فكل ذلك من خصال التقوى ومن أوصاف المتقين، كما قال الله تعالى:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

الثاني: قوله: (وصلوا خمسكم) أي: حافظوا على

(١) رواه عبد الله بن المبارك في «الزهد» رقم (١٣٤٣)، وهناد بن السري في «الزهد» رقم (٥٣٢). وصححه الألباني في «تخريج كتاب الإيمان» لابن أبي شيبة (ص ٣٩).

الصلوات الخمس المفروضة، فإن المحافظة عليها من موجبات دخول الجنة، وإضاعتهَا من موجبات دخول النار، وهي عماد الدين وأكد أركانها بعد الشهادتين، وهي صلة بين العبد وربّه، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، فإذا صلحت صلح سائر عمله، وإذا فسدت فسدت سائر عمله، وهي الفارقة بين المسلم والكافر، فإقامتها إيمان، وإضاعتهَا كفر، فلا دين لمن لا صلاة له، ولا حظّ في الإسلام لمن ضيع الصلاة.

ففي المسند وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه ذكر الصلاة يوماً فقال: «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف»<sup>(١)</sup>.

---

(١) «مسند أحمد» (١٦٩/٢)، و«صحيح ابن حبان» (١٤٦٧). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٩٢/١): «ورجال أحمد ثقات»، وحسن إسناده الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله في «مجموع فتاويه» (٢٧٨/١٠).

الثالث: قوله: (وصوموا شهركم) أي: شهر رمضان المبارك بالامتناع في نهاره عن الطعام والشراب وسائر المفطرات، وهو شهر واحد يمر كلَّ عام كتب الله على العباد صيامه ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴿البقرة: ١٨٣ - ١٨٤﴾، وهي قليلة وصيامها في غاية اليسر والسهولة، يجتمع فيه المسلمون كلُّهم على أداء هذه الطاعة، فيتركون فيه شهواتهم الأصلية من طعام وشراب ونكاح، ويعرضهم الله عن ذلك من فضله وإحسانه تتميمَ دينهم، وزيادة كمالهم، ونيل أجره العظيم وبره العميم، وفي الجنة باب يقال له الريان لا يدخل منه إلا الصائمون.

الرابع: قوله: (وأدوا زكاة مالكم) أي التي فرض الله عليكم، وجعلها حقاً في المال، وهي لا تجب على فقير ليس عنده نصاب زكوي، وإنما تجب على الأغنياء تتميماً لدينهم وإسلامهم، وتنمية لأموالهم وأخلاقهم، ودفعاً للآفات عنهم وعن أموالهم، وتطهيراً لهم من السيئات ومواساةً لمحاربيهم وفقرائهم، مما يدل على كمال هذه العبادة وعظم نفعها.

الخامس: قوله: (وأطيعوا إذا أمركم) وفي هذا الأمر بالسمع والطاعة لولاة أمر المسلمين في غير معصية الله والنصح لهم، وعدم الخروج عليهم، ونزع اليد من طاعتهم، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، ومن تأكيد النبي ﷺ على هذا الأمر في حجة الوداع ما رواه مسلم في صحيحه<sup>(١)</sup> عن يحيى بن حصين قال: سمعت جدتي تحدث أنها سمعت النبي ﷺ يخطب في حجة الوداع وهو يقول: «ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا»، فالواجب اتخاذ ذلك ديناً وقربة يُتقرب بها إلى الله ﷻ، فالذي أمر بطاعة ولادة الأمر هو الذي أمر بالصلاة والصيام والزكاة، وكل ذلك من موجبات دخول الجنة ونيل رضا الله ﷻ.

وقد أضيفت هذه الخصال الخمس في الحديث إلى المؤمنين لأنها من خصوصيتهم وموجبات كمالهم.

(١) برقم (١٨٣٨).

قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «حكمةُ إضافةِ هذا وما بعده إليهم إعلَامُهُم بأن ذواتِ هذه الأعمالِ بكيفيتها المخصوصة من خصوصياتهم التي امتازوا بها عن سائر الأمم، وحثُّهم على المبادرة للامتثال بتذكيرهم بما خوطبوا به، وتذكيرهم بأن هذه الإضافة العملية يقابلها إضافةٌ فضليةٌ هي أعلى منها وأتمُّ، وهي الجنةُ المضافةُ إلى وصف الربوبية المشعرِ بمزيد تربيتهم وتربية نعيمهم بما فارقوا به سائر الأمم»<sup>(١)</sup>. اهـ.

اللهم إنا نسألك التوفيق لدخول الجنة دار النعيم المقيم، والإعانة على القيام بموجبات دخولها إنك سميع مجيب.

---

(١) «تحفة الأحوذى» (٣/٢٣٨).



## بيان من المؤمن، ومن المسلم، ومن المجاهد، ومن المهاجر

روى الإمام أحمد في مسنده عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «ألا أخبركم بالمؤمن؟ من آمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب»<sup>(١)</sup>.

فهذا الحديث الذي هو من جملة وصايا النبي ﷺ وتعليمه لأمته في حجة الوداع فيه بيان لكمال مسميات هذه الأسماء الجليلة: الإيمان والإسلام والجهاد والهجرة،

(١) «مسند أحمد» (٦/٢١)، وصححه الألباني رحمته الله في

«الصحيحة» (٥٤٩).

وبيانٌ للمستحقين لهذه الأسماء على الحقيقة الواجبة لهم، والتي يترتب عليها السعادة التامة في الدنيا والآخرة، وذكرٌ لحدودها بكلام جامع شامل.

١ - فالمؤمن من آمنه الناس على دمائهم وأموالهم، فإن الإيمان إذا تمكن في القلب، وامتلاً القلب به أوجب لصاحبه القيام بحقوق الإيمان التي من أهمها: رعاية الأمانات، والصدق في المعاملات، والورع عن ظلم الناس في دمائهم وأموالهم، ومن كان كذلك عرف الناس هذا منه وأمنوه على دمائهم وأموالهم ووثقوا به، لما يعلمون منه من مراعاة الأمانات، فإن رعاية الأمانة من أخص واجبات الإيمان كما قال ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له»<sup>(١)</sup>.

٢ - والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وذلك أن الإسلام الحقيقي هو الاستسلام لله وتكميلُ عبوديته

---

(١) رواه أحمد (١٣٥/٣)، وابن حبان (١٩٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه. وصححه لغيره الألباني رحمته الله في «صحيح موارد الظمان» (٤٢).